

﴿المحاضرة - 09 - التاسعة﴾
الأدب الجزائري في عهد الموحدين

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الموحدية
- 2- الجزائر في ظل الموحدين
- 3- مظاهر الثقافة والأدب في دولة الموحدين
- 4- الأدب الجزائري القديم في العهد الموحد
- 5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الموحدية، ومختارات من أدبهم
- 6- الأدب الجزائري خلال العهد الموحد خصائصه، تطوره، وأثره

1- تاريخ الدولة الموحدية:

(الموحدون 515-674 هـ) تنسب دولة الموحدين إلى الجماعة الإسلامية التي كونها محمد بن تومرت المهدي بالمغرب الأقصى. وترجع كلمة الموحدين إلى قولهم بأن الله تعالى وحده لا يمكن أن تتصوره المحسوسات، فهو فوق التشبيه، وكل تصوير لله تعالى يعد مجازاً، على خلاف أصحاب التشبيه والتجسيم، فالموحدون في نظرهم مخالفون للحقيقة، بل هم يرون رأيهم كفراً، وهم لذلك يعتقدون أنهم هم المؤمنون حقاً، الذين يوحدون الله وينزهونه عن كل تشبيه له بالخلق.

توفي ابن تومرت بعد أن وضع أسس هذه الدولة، وأوصى بالخلافة من بعده لقائده عبد المؤمن بن علي، الذي قضى على دولة المرابطين. وكان أول حاكم مسلم في تاريخ المغرب الكبير استطاع وضع يده على البلاد الممتدة من مصر إلى الأطلسي بالإضافة إلى أسبانيا. وعندما ضعفت قبضة الموحدين على الأندلس، طمع فيها الأسبان، لذا قاد سلطان الموحدين الثالث المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (580 - 595 هـ) جيشه سنة 591 هـ، 1195 م، وانتصر على الأسبان انتصاراً كبيراً في موقعة الأرك قرب بطليموس، في العام نفسه. وكان السقوط النهائي على يد بني مرين عام 668 هـ¹.

2- الجزائر في ل الموحدين:

كانت الجزائر المؤمنية مقسمة الى ولايتين كبيرتين: ولاية تلمسان من ملوية غربا إلى نهر مينة شرقا، وولاية بجاية الى حدود عمالة قسنطينة اليوم شرقا. وكان من مدنها قالمة بلفظ. وربما كان الزاب آنذاك تابعا إلى ولاية تونس².

3- م ا ر ال قافة والأدب في دولة الموحدين:

لم تبدأ دولة الموحدين حياتها من فراغ، بل قامت على أنقاض دولة المرابطين، ووجدت إلى جوارها وقبلها بلاد الأندلس التي تعج بالعلم والعلماء والمراكز العلمية، كما وجدت الدولة العباسية في المشرق، فاستفادت من هنا وهناك، وزادت عليه، وصبغته بشخصيتها المغربية الجزائرية. أقول المغربية نسبة إلى المغرب الأقصى لأن مؤسسها

1 - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الدولة الموحدية.
2 - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص314.

الروحي الأول هو محمد بن تومرت مغربي الأصل؛ بينما مؤسسها الحقيقي الذي أقام الدولة ومؤسساتها هو عبد المؤمن بن علي الندرومي الجزائري الأصل (تلميذ محمد بن تومرت).

وكان خلفاء وأمراء الدولة الموحدية يتعاطون الأدب شعرا ونثرا، وفتحوا أبواب بلاطاتهم للشعراء والكتاب والعلماء؛ وأكرمهم وأحسنوا إليهم، حتى إنه ليصدق عليهم ما قال الثعالبي في بني حمدان: "كَانَ بَنُو حَمْدَانَ مَلُوكًا وَأَمْرَاءَ أَوْجَهَمَ لِلصَّبَاحَةِ، وَالسَّنْتَمَ لِلفَصَاحَةِ، وَأَيْدِيَهُمَ لِلسَّمَاحَةِ، وَعَقُولُهُمَ لِلرَّجَاحَةِ"¹. وكان عبد المؤمن بن علي الجزائري رجل علم وحلم وأدب وحرب معا. وورثه بنوه وحفدته، وساروه على نهجه.

ومن مظاهر النشاط الفكري في هذا العصر الرحلة في طلب العلم والعمل معا. رحلة داخلية وأخرى خارجية إلى الأندلس والمشرق. واقتناء الأصول القديمة والعناية بها من كتب وغيرها. وكان من تلك المظاهر المدارس وحلقات التدريس التي يعقدها العلماء، ويقصدها الطلبة من كل فج. وقد كانت المناظرات مظهرا آخر من النشاط الفكري، وكان يشارك فيها الخلفاء، وهم من يلقون بموضوعات للمناظرة. كما ازدهرت الوراقة وكثر من يجيدون الخط العربي².

ويرى عبد الله كنون أنّ من أهم أسباب تطور علوم اللغة والآداب في الدولة الموحدية، تنافس المغاربة مع إخوانهم الأندلسيين، وتفآخرهم عليهم بكثرة العلماء والأدباء. وينفي كنون في الموضوع نفسه أن تكون آداب الموحدين نسخة طبق الأصل لآداب الأندلسيين، بل تميزت عنها، واكتسبت خصوصيتها المغاربية³. ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد عاش اثنان من أعظم فلاسفة المغرب، هما: ابن طفيل وابن رشد، في ظل دولة الموحدين، ولقيا الرعاية.

4- الأدب الجزائري القديم في العهد الموحدية:

أسلفت الذكر أنّ عبد المؤمن بن علي جزائري الأصل، قد أسس دولة الموحدين في مراكش بالمغرب الأقصى، ومرجع ذلك أنها كانت عاصمة المرابطين فورثوها من بعدهم، وثانيها أن المغرب الأقصى هي موطن أستاذه عبد الله بن تومرت. ولذلك فأنا أعتقد أن ما أنتجه عبد المؤمن وذريته من بعده من آداب هو أدب جزائري قديم أصلا. وتأسيس دولة الموحدين بالمغرب الأقصى، وعيش عبد المؤمن فيها، لا ينفي جزائريته، ولا يصادر آدابه هو ونسله - أو يستثنىها أو يخرجها من جملة الأدب الجزائري القديم.

وقد عاش في بلاط الموحدين عدد كبير من الفقهاء والفلاسفة والأدباء؛ الذين أسهموا في بناء دولة الموحدين، ولم يكن حظ الجزائريين في البلاط الموحدية بالقليل، فمن الشعراء نذكر السلطان عبد المؤمن بن علي الندرومي نفسه، إذ كان شاعرا وناثرا، والشاعر ابن مروان التلمساني، والشاعر أبا علي الحسن بن الفكون، ومن الكتاب أبو القاسم القالمي، وأبو

¹ - عبد الملك بن محمد الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ج1، ص37.

² - ينظر: محمد عبد الرحمن الرقب، شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، دط، 1984م، ص31-35.

³ - ينظر: عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص163-166.

الفضل بن طاهر بن محشرة. وهذه كوكبة من أولئك الأدباء، الذين احتكوا بالموحدين خاصة، مع مختارات من أشعارهم.

5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الموحدية، ومختارات من أدبهم:

● **رجل مجهول من أهل بجاية:** نظم قصيدة تقع في ستة وعشرين (26) بيتا، حين وفد على أمير المؤمنين أبي يعقوب وهو بتينمل بالمغرب الأقصى؛ فقام على قبر عبد الله بن تومرت بمحضر من الموحدين وأنشد قصيدة أولها¹.

سلام على قبر الإمام المجد
ومشبهه في خلقه ثم في اسمه
ومحيي علوم الدين بعد مماتها
أنتنا به البشرى بأن يملاً الدنيا
ويفتح الأمصار شرقاً ومغرباً
فمن وصفه: ألقى وأجلى، وأنه
زمان، واسم، والمكان، ونسبة
ويلبث سبعاً أو فتسحاً يعيشها
فقد عاش تسعاً مثل قول نبينا
وتتبعه للنصر طائفة الهدى
هي التلة المذكور في الذكر أمرها
ويقدمها المنصور والناصر الذي
هو المنتقى من قيس عيلان مفخرًا
خليفة مهدي الإله وسيفه
بهم يقمع الله الجبابرة الألى
ويقطع أيام الجبابرة التي
فيغزون أعراب الجزيرة عنوة
ويفتحون الروم فتح غنيمه
ويغدون للدجال يغزونه ضحى
ويقتله في باب لُدّ وتنجلي
وينزل عيسى فيهم وأميرهم
يصلي بهم ذاك الأمير صلاتهم
فيمسح بالكفين منه وجوهم
وما إن يزال الأمر فيه وفيهم
فأبلغ أمير المؤمنين تحية
عليه سلام الله ما ذرّ شارق

● **عبد المؤمن بن علي**⁽⁵⁾: "عبد المؤمن بن علي (447-558هـ / 1095-1163م) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد، التجاري الكومي

¹ - المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 141-143.

الندرومي: أمير المؤمنين، مؤسس دولة الموحدين في المغرب العربي والاندلس، ولد بنواحي ندرومة شمالي تلمسان، ونشأ فيها محبا للقراءة والدرس، يلزم المساجد لقراءة القرآن، وأبوه صانع فخار، ثم اعتزم الرحلة إلى المشرق ليتابع الدرس، ويقضي فريضة الحج. وفي طريقه دخل ملالة وفيه التقى بمحمد بن تمورت وكان يومئذ يقود حملته المعروفة ضد المنكر، فاصطفاه ابن تمورت واختاره من بين طلبة العلم لما لمح فيه من النبوغ والعبقرية، ودعاه/ إلى معاونته فيما هو قائم به، من إماتة المنكر وإحياء العلم، وإخماد البدع.

بعد موت شيخه). (..) بويغ البيعة العامة بجامع تينملل ودُعي أمير المؤمنين سنة 524هـ/1130م (..) خضع له المغربان الأقصى والأوسط وإفريقية (تونس)، وطرابلس الغرب والاندلس، فتحققت بفتوحاته وانتصاراته وحدة المغرب الكبير. أسس مدنا كثيرة، وأصلح ثغر الرباط، وأنشأ الأساطيل، وضرب الخراج على قبائل المغرب العربي (..) توفي في رباط سلا، في طريقه إلى الأندلس مجاهدا، ونقل إلى تينملل، فدفن فيها إلى جانب ضريح المهدي بن تومرت. وكانت مدة ولايته منذ وفاة المهدي في 25 رمضان سنة 524هـ، ثلاث وثلاثون سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة وعشرون يوما¹

لقد توسم ابن تومرت - من قبل- في عبد المؤمن الشخصية القيادية، والعلم، والقوة، والحزم، ورأى فيه خير ممثل له، فولاه قيادة الجيش في حياته، ولمح إلى الوصية بخلافته؛ حيث كان يقول: " - لأصحابه كلما رآه-: "صاحبكم هذا غلاب الدول"². ويتمثل - أيضا- بقول الشاعر أبي الشيص الخزاعي³:

تكاملت فيك أخلاق خصصت بها فكاننا بك مسرور ومغتبط
فالسنة ضاحكة، والكف مانحة والصدر منشرح، والوجه منبسط
من نثر عبد المؤمن بن علي: من نثره هذه المقطوعة بُعيد وفاة المهدي، ولعلها كانت في تأبينه أو بعده بقليل، حيث يقول لأتباعه الموحدين: "إن الإمام قد سار إلى ما عند الله، ووجد خيرا مما ترك، فكونوا في أنفسكم، وانظروا فيمن تولونه أموركم، وتجتمع عليه كلمتكم بعده، ولا تفرقوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، ويختل أمركم، ويتفرق جمعكم، ويتمكن منكم عدوكم"⁴. وفي هذه المقولة من الخطبة - رغم قصرها- صورة الروح التشاورية الديمقراطية التي يتحلى بها عبد المؤمن، فلم يفرض نفسه استبدادا، رغم قرابته الشديدة من ابن تومرت.

- من شعر عبد المؤمن بن علي: ومما كتبه في نهاية رسالة له أبياتا شعرية يستنفر فيها قبائل بني هلال للغزو بالاندلس؛ وهي⁵:

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على الأعداء شدة صائل

1 - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص218-219.

2 - المهدي محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، دط، دتط، ص18.

3 - الناصري أحمد بن خالد بن محمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخر، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، دتط، ج2، ص100.

4 - نفسه، ص100.

5 - ابن أبي زرع محمد بن عبد الحليم، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب الأقصى، دط، 1972، ص185.

فما العز إلا ظهر أجرد سابح وأبيض مأتور كأن فرنده بني العم من عليا هلال بن عامر تعالوا فقد شددت إلى الغزوية هي الغزوة الغراء والموعد الذي بها تفتح الدنيا بها تبلغ المنى أهبنا بكم للخير والله حسبنا فما همنا إلا صلاح جميعكم وتسويغكم نعمى ترفاً ظلالها فلا تتوانوا فالبدار غنيمه

- توقيع لعبد المؤمن بن علي: وكما كان عبد المؤمن حازما في سياسته الخارجية، كان في سياسته الداخلية كذلك، حتى مع أقرب المقربين من قواده ووزرائه، وفي توقيع على رسالة استعطاف من وزيره أبي جعفر بن عطية خير دليل على ذلك؛ فقد روي (14): "كان عبد المؤمن قد نعم على وزيره أبي جعفر إفضاءه لسر أفضى إليه به فقبض عليه ثم نكبه وقد صدرت من أبي جعفر إليه رسائل استعطاف بليغة ينتصل فيها من الذنب ويعتذر فوقع عبد المؤمن على إحداها: "الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (سورة يونس، الآية:91)"¹.

● **أبو القاسم القالمي:** أبو القاسم القالمي: من قالمة (..) ولما فتح عبد المؤمن بجاية استكتب القالمي بينما استمر ابن عطية في الوزارة إلى سنة 553هـ، (..) وساعد القالمي في الكتابة أيضا - زمن الخليفة يوسف- أبو الفضل بن محشرة الذي ظل يخدم أبا القاسم القالمي إلى أن مات فكتب مكانه. ومن الرسائل التي كتبها القالمي الرسالة رقم 21 في مجموع رسائل موحدية بتاريخ ربيع الآخر 555هـ، ونسبت إليه في هذا المجموع أيضا الرسالة رقم (22منه) حول معركة فحص هلال سنة 568هـ، وهي الرسالة التي ينسبها في العطاء الجزيل للكاتب أبي الحسن بن زيد الإشبيلي. كما توجد بهذا المصدر رسالة أخرى كتبها القالمي عن الخليفة يوسف إلى الطلبة الغزاة بأفريقية مؤرخة برجب 564هـ²

- **من رسائل أبي القاسم القالمي:** هذه رسالة من إنشاء أبي القاسم القالمي؛ على لسان عبد المؤمن بن علي. وقد كان كاتباً له في ديوانه، موضوعها الإعلام بهزيمة عرب أفريقية³: "من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره، وأمه بمعونته - إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة من الموحدين من أهل فاس - أعزهم الله بتقواه، وأدام كرامتهم بحسنه - سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (..) والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله الحاشر العاقب (..) وعلى آله وصحبه أولي العزم في أمره العاكف الذائب (..) والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم القائم بأمر الله وقد التفت حجب الغياهب، وتفرقت سبل المذاهب، وخبط من ليل الحيرة في حيث لا منفذ لآء، ولا مخلص لذاهب، فهدى الله بهداه إلى الواضح اللاحب،

¹ - كنون عيد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج2، ص417.

² - أحمد عزوي، رسائل موحدية مجموعة جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل (المغرب)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1995، ج1، ص19-20.

³ - إ. لافي برفانصال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية - المطبعة الاقتصادية - الرباط، المغرب، ط، 1941، ص113-121.

وأنفذ به من هو العاشر، وشفى العاطب (..) وقد كنا - أعزكم الله بتقواه - قدمنا مطالعتم بما سناه الله تعالى في غزو عرب أفريقية (..) وكان هذا الفتح العظيم في حين إعلامكم لم يُستوفَ طلقه بعد، ولا كمل له من مستصفي/ مستحقه العقد وأنهينا إليكم مضماره وهو في مضماره مسترسل، (..) والآن - والله يوزع شكر نعمائه - فقد عقد حباه، وأغمدت وفيها فلول من قراع الدارين ظباه، (..) وببلاد إفريقية للقبيل الرياحي المستولي على أقطارها، المستعجل في إضرارها، لا ذكر يسمع، ولا حديث يرفع، ولا أثر يتقصى ويتتبع، ألحقوا بقبيل العدم، (..) وأصبحوا كهشيم التهبته نفحة ضرم (..) حيزت عليهم الثنايا والأنقاب، وتبسط منهم كيف شاء العقاب، فلم يجدوا إلى مستخلص سبيلا، ولا استطاعوا مضيا ولا إلى منجاة تعريجا ولا تحويلا، أينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (..) / وفي حين هذه المخاطبة - وفقكم الله - وصلت أوائل العساكر المنصورة، فقصدت من قصصها عبرة لأولي الألباب، وأطلعت من معاني هذا الفتح المبارك من اربى على العجب العجاب، وأنبأت لما أرسل الله في جميع بلاد أفريقية، من سماء الأمن المنسكب المنساب (..) وعلى الجملة: فقد أظهر الله تعالى من بركته هذه الحركة الميمونة/ السعيدة ما لم يكن ينشأ سماء الوهم والإحساس، ولا يجري على أساليب القياس (..) كتب من فحص متيجة يوم الإثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة خمس خمسين وخمسائة".

● **أبو علي الحسن بن الفكون القسطنطيني:** الفكون (.. - حيا 602هـ / .. - حيا 1205م) حسن بن علي بن عمر القسطنطيني، أبو علي، الشهير بابن الفكون: شاعر المغرب الأوسط في وقته. من أهل قسنطينة. رحل الى مراكش ومدح خليفة بني عبد المؤمن. قال الغبريني: وهو من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر، أصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها ومن كريم اروماتها. وقال ابن قنفذ: وامتدح الناصر يوم وصوله الى قسنطينة سنة 602هـ بقصيدة عظيمة، وله في ولاية بني عبد المؤمن ببجاية مدائح. له "ديوان شعر" و "رحلة" نظمها في سفرته من قسنطينة الى مراكش ضمنها ذكر المدن التي مر بها¹.

- **أبو علي الحسن بن الفكون:** يصف رحلة مع سادة عبد المؤمن في البحر ببجاية الناصرية بعدما ورثوها من الحماديين. يقول الشاعر في ذلك شعرا ونثرا²:

عشونا إلى نار الربيع وإنما	عشونا إلى نار الندى والمحلق
ركبنا بواديه جواد زوارق	نزلنا إليها عن ضوامر سبق
وخضنا حشاه والأصيل كأنه	بصفحته تبدى مروق زنبق
وسيدنا قد سار فيه لأنه	بزورقه إنسان مقلنة أزرق
فقلت وطرفي يجتلي كل عبرة	وزورقه يهوي به ثم يرتقي
أيا عجبا للبحر عب عبابه	تجمع حتى صار في بطن زورق
ولما نزلنا ساحة القصر راعنا	بكل جمال مبهج الطرف مرتق
فما شئت من ظل وريف وجدول	وروض متى تلمم به الروح تعبق

1 - ينظر عادل نويهض، - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص 254. وينظر: الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدرية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص334.

2 - الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدرية، ص335-336.

وشادي مغاني الحسن في نغماته
 فيا حسن ذاك القصر لا زال أهلا
 رتعبنا به في روضة الأانس بعدما
 ويضحكنا طول الوصال وربما
 فتضحى موصونات الدموع هدالة
 لمثلهما من منزله ونزاهة
 فله ساعات مضين صوالح
 خلعتنا عليها النسك إلا أقله

ولم يكتف السلطان الموحي بما ناله من تلك النزهة، بل طلب من الشاعر ابن
 الفكون أن يصور لهم تلك المشاهد أدبيا.. ولما كان المشهد ليليا ساحرا، استعان عليه
 الشاعر بالنثر والشعر، وأحسب أن الشاعر قد علم أن الشعر بقيوده عاجز عن الوصف في
 هذا المقام الليلي، فدعمه بالنثر، وخيرا فعل؛ إذ يقول¹: "ولما نضب ماء الأصيل، ورق
 نسيمه العليل، وهم العشي بانصرام، وودع النهار بسلام، وأرعى الليل فوقنا سدوله، وجرر
 على الأفق ذيوله، عدنا إلى زورقنا ذلك، ومحيا الجو غير محتجب، ووجه الأفق غير متلفع
 بثوب الغمام ولا منتقب، وقد تشكلت الكواكب في الماء، فكأنما يجري بنا زورقنا في
 السماء، فأمرؤ أعزهم الله بوصف تلك الحالة، فبادرتهم بهذه العجالة.

وليل مسرة ما زلت منها
 لبست ثيابه عزا إلى أن
 فنهز السجل قد تراءت
 يسر النفس في نظر وشيم
 تشكلت الكواكب فيه حتى
 فما تماز أرض من سماء

● **السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور**: إنه أبرز سلاطين الموحدين، تولى في عز
 ملك الدولة الموحدية، وعصرها الذهبي، إنه ثالث الخلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن،
 تولى الخلافة عام 580هـ/1185م. وتوفي عام 595هـ/1199م. "أجل الملوك الموحدين،
 وأكثرهم صيتا، وأحسنهم في الأحوال كلها، ولي الملك قد تمهد واتسق، والمال قد توفر"².
 وهو صاحب معركة الأرك³ ضد النصارى، ومهندسها، ويروي لنا ابن أبي زرع أن سببها
 رسالة أرسلها ملك قشتالة الفونسو الثامن إلى المنصور استنفره فيها، وتحداه بقتاله حتى في
 أرضه إن شاء.. وكان رد ولي العهد - بعدما أذن له والده بالرد⁴ -: "قال الله العظيم

1 - الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض،
 منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص336.

2 - علي بن عبد الله بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، ص230.

3 - "غزوة الأرك (..) وكانت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وغنم المسلمون ما عظم قدره، وكان عدّة من قتل من
 الفرنج - فيما قيل - مائة ألف وستة وأربعين ألفاً، وعدّة الأسارى ثلاثين ألفاً، وعدّة الخيام مائة ألف وستة وخمسين ألف
 خيمة، والخيول ثمانين ألفاً، والبيغال مائة ألف، والحمير أربعمائة ألف، جاء بها الكفر لحمل أثقالهم لأنهم لا إبل لهم، وأما
 الجواهر والأموال فلا تحصى".

- أحمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص443.

4 - عمر بن حسن بن نحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح إبراهيم الأبياري وآخرين، مراجعة طه حسين، دار
 العلم للجميع، بيروت، لبنان، دط، 1955، ص220-221.

فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون). الجواب ما ترى لا ما تسمع. واستشهد ببيت المتنبي:

ولا كتبتُ إلا المشـ _____ رفية عنـ _____ ده

ولا رسـ _____ ل إلا الخـ _____ يس العـ _____ رم

● **الشاعرُ محمد بن مروان التلمساني؛ هو:** " قاضي الجماعة الأديب المتفنن أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني. ذكره التاج ابن حموية الدمشقي في رحلته المغربية وأخبر أنه من المرية أصلاً. وكان والده من الأجناد، تقدم وساد وولى مدينة وهران. وبها ولد أبو عبد الله، ونشأ بتلمسان مجداً في الفقه والأدب، ومال لعلم الظاهر، وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم، فاشتهر بذلك، وصادف انحراف المنصور عن كتب الفروع وميله إلى مذهب أهل الحديث، فتقدم عنده إلى أن ولاه قضاء قضائه، فأبان عن صرامة وعفة ومروءة. وكان ممن له مشاركة في صناعاتي النظم والنثر. وذكره والذي فيمن لقيه من أهل العلم وأطنب في الثناء عليه من جهة التعصب والسعي الجميل في حق من اعتمد عليه، مع خلق أئدى من النسيم، وأدب أنق من الوجه الوسيم. قال: إلا أن حفظه وعمله بالأدب فوق شعره"¹.

مناسبة القصيدة: حقق المنصور الموحدى بجيش الموحدين نصراً لا مثيل له. وكان من بين أولئك المهنيين الجزائريين للسلطان المنصور، الشاعر محمد بن مروان التلمساني، ومن أحسن ما أورده قوله فيه²:

أسيـ _____ دنا يا ابـ _____ ن الإمامين أمـ _____ ركم
منـ _____ و ط بأمر الله ما عنـ _____ ه معـ _____ دل
نـ _____ صرتُم لأنَّ الحـ _____ ق أن ظهـ _____ ورة
ونـ _____ اصـ _____ رة في الله ما كـ _____ ان يخـ _____ نذل
أزـ _____ لتم على ما ينفـ _____ ع الناس جهـ _____ لها
وعـ _____ لمتم في الـ _____ دين ما كـ _____ ان يجهـ _____ ل
وأورـ _____ دتم السـ _____ لسال من شـ _____ قة الظـ _____ ما
أوان جـ _____ رى ذاك الحـ _____ ديث المسـ _____ لسـ _____ ل
قطـ _____ عتم فـ _____ روعاً قد أضـ _____ رت بأصـ _____ لها
ألا هـ _____ كذا من كـ _____ ان بالعـ _____ دل يشـ _____ مل
ملأـ _____ تم بسـ _____ لاط الأرض خـ _____ يراً وما بـ _____ قى
فأخـ _____ بـ _____ اركم فيـ _____ ه تسـ _____ ير وتنـ _____ قل
أقـ _____ م إن تسـ _____ ر نحو المـ _____ مالـ _____ ك راحـ _____ لاً
فسـ _____ لـ _____ اكنها شـ _____ وقاً لعـ _____ ذلك يـ _____ رحـ _____ ل

- ومن نادر الحكايات لابن مروان¹: أنه كان قد لزم أبا جعفر بن مضاء قاضي القضاة مدة، وكان يثقل عليه بالطبع ويخف عليه بالتصنيع، ففسأله في بعض الأوقات عن حاله، فارتجل هذه الأبيات:

1 - ابن سعيد المغربي على بن موسى، الغصون اليناعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح إبراهيم الإبياري، دار المعارف، مصر، دط، دتط، ص 29-30.
2 - نفسه، ص 30-31.

يا من مضى وتسمى ولم يخنّه زمانه
سألتني كيف حالي وقد كفأك عيانه
إن كان عندك خيرٌ يرجى فهذا أوانّه

فقال: يكون الخير إن شاء الله ولأسعين فيه جهدي. ثم جعل يستنبيه ويرشحه لما هو أهله. فقال له بعض أصدقائه: أراك تقدم هذا الرجل وتعينه على نفسك. فضحك ابن مضاء وقال: الرأي ما ظننته، أنه غير رأي، هذا الرجل لاحت لي فيه بوارق السعادة ولا بد أن يتقدم رضيت أم سخطت، والأولى أن أظهر أن تقديمه بترشيحي وسعي له، فإن وفي اشتركنا في حمد الناس، وإن لم يف انفرد باللائمة. ثم إن ابن مضاء مرض في سفرة المنصور إلى إفريقيا سنة ثلاث وثمانين وخمسائة، فاشتغل ابن مروان بالحكم بين الناس، فظهر منه من حسن الخلق والسياسة ما اشتهر به اسمه ونسي معه ابن مضاء، فما استقل ابن مضاء من مرضه إلا وقد حاك في قلب المنصور أن يجعله قاضي الجماعة فكان ذلك، وصار ابن مضاء إذا رآه والناس مقبلون عليه أنشد ابن مروان:

وما يستوي الثوبان به البلي وثوبٌ بأيدي البائعين جديد
ولم يزل أبو عبد الله قاضياً للمنصور إلى أن كانت سنة اثنتين وتسعين وخمسائة،
فوقع بينه وبين أبي القاسم بن بقي كلام أظهر فيه ابن مروان الاقتدار عليه، فأنشد ابن بقي:
الدهر لا يبقى على حالة لكنّه يقبل أو يدبر
فإن تلقاك بمكروه فأصبر فإن الدهر لا يصبر

واتفق أن سعى في إثر ذلك بابن مروان، ونسب له تقصير في صدقات خرجت على يده، فعزله المنصور وولى على قضاء الجماعة ابن بقي المذكور. فلقبه ابن مروان في إثر ذلك، وكان مفاكهاً حسن الخلق طيب النفس، فقال له: أفترى؟ لقد أقبل وأدبر ونحن نصبر كما صبرت فاستحيا ابن بقي فلم يجاوبه بحرف.

● **سليمان بن عبد الموحّد:** هو أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الكومي؛ نشأ في مراكش؛ فهو أمير وابن أمير وحفيد خليفة كبير، ولد في حدود سنة 552هـ. عمل والياً للموحدين على بجاية ثم سجلماسة ثم تلمسان سنة 584هـ إلى أن توفي بها سنة 604هـ؛ كان كاتباً وشاعراً وأديباً ماهراً وله ألغاز². له ديوان شعر مطبوع ومحقق فيه نحو 201 صفحة.. وله شعر يروق، يتضمن موضوعات متعددة، وهي المديح والثناء والنسيب والألغاز والتشبيه والعتاب والاعتذار والشكوى والزهد. وهذه مقتطفات منه:
قال في الزهد:

يا غافلا عن ذكر مولاه وذاهلا عن شكر نعماه
وراتعاف في غيّه لاهيّا قد كحلت بالنوم عيناه
كم تصحب الغفلة عن ذكره وكم يراعيك وتنسأه
يا عجباً تكثر عصيانه وتدعي أنك تخشأه
فعد عن ذكر الصبا جانباً وأرح الذي تأمل رحمأه

1 - ابن سعيد المغربي على بن موسى، الغصون اليناعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص31-33.
2 - ينظر: محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، مقدمة ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحّد، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، المغرب، بط، دتط، ص3-4. وينظر: - أيضاً - شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص156.

ففي يوم لا قوم إلا به
رب إذا ما شئت أن تهتدي

وقال في المدح: قصيدة يمدح فيها ابن عمه المنصور يعقوب¹

هبت بنصركم الرياح الأربع
واستبشر الفلك الأثير تيقناً
وأمدك الرحمن بالفتح الذي
لم لا وأنت بذلت في مرضاته
ومضيت في نصر الإله مصمماً
الله جيشك والصوارم تنتضي
من كل من تقوى الإله سلاحه
لا يسلمون إلى النوازل جارهم
إن ظن أن فراره منج له
أين المفر ولا فرار لهارب
أخافية الله الرضى هنيئته
فقد كسوت الدين عزاً شامخاً
هيهات سر الله أودع فيكم
لكم الهدى لا يدعيه سواكم
إن قيل من خير الخلائق كلها
إن كنت تتلو السابقين فإنما
خذاها أمير المؤمنين مديحة
واسلم أمير المؤمنين لأمة
فالمدح مني في علاك طبيعة
وعليك يا علم الهداة تحية
وقال في الإلغاز: ملغزا في القمر والنجوم،
صفحاته القمر والنجوم².

وَمَا سَابِقٌ لَا يُرَى صَاعِدًا
لَهُ مِنْكَ رُبْعٌ وَمِنْهُ الْحَيَاةُ
إِذَا مَا جَأَسْتَ لَهُ لِيَأْتِيَهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا اسْتَنَقَامَ أَنْحَدَرُ
وَدَلِيكَ حَظٌّ جَمِيعُ الْبَشَرِ
حَكِي لَكَ أَنْجُمَهَا وَالْقَمَرِ

6- الأدب الجزائري خلال العهد الموحدى خصائص ، تطور ، وأثر :

✓ خلا الأدب الجزائري في هذا العهد - على غرار الأدب المغربي - من الزخرفة إلا قليلاً.

¹ - المقري أحمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1968، ج2، ص106.

² - ينظر: المقري أحمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1968، ج3، ص107. وينظر أيضا: شواش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، مج1، ص156.

- ✓ ساهم الجزائريون في دواوين الدولة الموحدية، فقد كان ابن مروان فقيها وقاضيا وشاعرهم. وكان أبو القاسم القالمي وابن محشرة¹ كاتبين مميزين. ولهما رسائل على السنة خلفاء الموحدين.
- ✓ ابتعد الجزائريون نهائيا في ظل دولة الموحدين عن شعر الخمریات والمجون، وقل شعر الغزل المتكشف.
- ✓ ظهر أثر التجديد في رسائل القالمي وابن محشرة وباقي الكتاب.. فبعضها كان يفتح ب (أما بعد) والآخر ب (من فلان إلى فلان).
- ✓ من صفات الكتابة في ظل دولة الموحدين ميلها إلى الإطناب والطول.
- ✓ احتقى الشعر الجزائري القديم المنظوم في مدح الخلفاء والأمراء الموحدين بفكرة المهديّة وشايعها، كما عظم المذهب الظاهري السائد في الدولة.

1 - أما أبو الفضل بن طاهر بن محشرة: فقد استدعاه الخليفة يوسف إلى مراكش فوصله كارها - على حد قول الغبريني-، ثم كتب عن الخليفة يعقوب بن يوسف. ويحتفظ له كتاب مجموع رسائل موحدية بتسع (09) رسائل. وأضاف له أحمد عزاوي رسالة عاشره في كتابه رسائل موحدية مجموعة جديدة رقمها خمسة وثلاثون (35).